يتناقل اهل الادب تعريفا يقولون فيه: "اصحاب الواحدة" ويريدون به مجموعة من الشعراء شاعت على السن الناس قصيدة واحدة من شعرهم، طغت على ما قالوه جميعًا، أو لعل بعضهم ضاع مجموع شعره فلم يتبق الا القليل منه، وفيه هذه القصيدة التي اعجبت الناس على مر العصور، فكانت واحدة وشهيرة ويتيمة، وصنفت هذه القصائد أحياناً بعد المعلقات .

ان مصطلح (**الواحدة**) أول من تكلم به هو ابو عمرو بن العلاء المتوفى (145هـ) فقال: ((واما اصحاب الواحدة فطرفة أولهم، ومنهم عنترة، والحارث بن حلزة اليشكري، وعمرو بن كلثوم)) لكن الاصمعي هو الذي اصل لهذا المصطلح وحدد اصحاب الواحدة وعين قصائدهم المتفردة ثم جاء بعدهم ابن سلام الجمحي المتوفى (232هـ)، وأطلق هذا اللفظ في كتابه طبقات فحول الشعراء، استخدمه استخداماً انتقائياً، بمعنى أن مرد وصفه وتحديده للواحدة في شعر الفحول يقوم على تمييز قصيدة واحدة في شعر كل واحد منهم، يكون قد أجاد فيها حتى تميزت عن غيرها فَيَسِميُها بالواحدة، ولا يعني ذلك البتة أن الشاعر المقصود لم يقل غير القصيدة المسطّرة

أن أصحاب الواحدة في معظمهم من هوامش الناس، فهم خوارج وصعاليك ومتصوفة ولصوص ومجانين ومنفيون، وشعراء مغمورون، ومغامرون ومنبذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام الناس في عصرهم. حتى أشراف القوم منهم، فإن واحدتهم أو قصائدهم النادرة قيلت في لحظات حرجة من حياتهم، كما هي الحال في قصائد لقيط بن يعمر الأيادي ومالك الريب .

الشاعر طرفة بن العبد حياته، وشعره، ومعلقته

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. ولد حوالي سنة 543 من أبوين شريفين وكان له من نسبه العالي ما يحقق له هذه الشاعرية فجده وأبوه وعماه المرقشان وخاله المتلمس كلهم شعراء مات أبوه وهو صغير فكفله أعمامه، وكان من عائلة غنية، فصار ينفق ماله في اللهو والنساء والخمر، مما أدّى إلى أن يسلبه أعمامُه حقه في المال، ولكنه لم يتعظ من ذلك فقد بقي على

حاله حتى أنفق ماله كلّه، فسخطت عليه عشيرته، وابتعدت عنه، فابتعد عنهم أيضاً في مدة قضاها بالتجوال والغزو، حتى امتلأ قلبه بالندم فعاد لقريته وعشيرته، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شاباً قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين.

كان الشاعر طرفة بن العبد من أحدث الشعراء سناً لكنه على الرغم من ذلك كتب ما لم يكتبه شعراء آخرون أكبر منه سناً وأكثر منه معرفةً بالشعر، وهو يُعتبر من شعراء المعلقات المقدّمين، ومن شعراء القصيدة الواحدة اذ تميز بمعلقته الشهيرة التي طغت على باقي شعره، كما كان شعره بدوياً خالصاً، وغريباً متيناً في التركيب، مع القليل من الإبهام في أبياته، وأكثر ما برع فيه هو شعر الهجاء، والحكمة، والفخر، والحماسة، وأكثر كذلك من شعر الحكمة الذي استمده من حياته وتجاربه من معاملة أقربائه له، وكانت أكثر حكمه عن الموت والحياة، وفي ذات الوقت كان كثير اللوم للأغنياء البخلاء الذين لا ينفقون للاستمتاع بالحياة، ومن ابياته في الحكمة:

الخَيرُ خَيرٌ وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ
وَالشَرُّ أَخبَثُ ما أَوعَيتَ مِن زاد

ومن ابياته المشهورة التي تجسد حقيقة الحياة:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً

وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

ومعلقته الشهيرة يعدها البعض أفضل ما قيل في ذلك الزمن المبكر من العربية، ويجمع الكل على أنها من عيون الشعر العربي، فشعره يمزج بين الرونق والجزالة، وعذوبة المشرب، ولقد

تميزت اللغة لديه بالسهولة واللين وإبداعه في استعمالها، وتميز أسلوبه باستخدم الجمل الخبرية وأساليب السؤال والاستنكار، واستعمل طرفة الموسيقى في أدبه كما لجأ إلى المحسنات البديعية كالطباق والجناس، كما أنه من أجود الشعراء فكلما طالت قصيدته حسُنت، وهو شاعر مطبوع، ولأنه ذو حسب في عشيرته الأمر الذي ساعده في شعره

المعلقة

بعض النقاد فضلوا معلقة طرفة على جميع الشعر الجاهلي لما فيها من الشعر الإنساني، والعواطف المتضاربة، الآراء في الحياة والموت، جمال الوصف، براعة التشبيه، وشرح لأحوال نفس شابة وقلب متوثب، يقول فيها:

لِخَولَةَ أطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تلوح كَباقي الوشم في ظاهِرِ اليَدِ
وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مطيّهُم يَقولونَ لا تَهلِك أسىً وتجلد

كَأَنَّ حُدوج المالِكيَّةِ غُدوةً خلايا سَفينٍ بالنواصف مِن دَدِ

في هذا المقطع الشعري نجد أنّ الشاعر يبدأ معلقته بالوقوف على الأطلال، ويقول أن لخولة بقايا وآثار في منطقة برقة ثهمد في عُمان، وأنّ هذه الأطلال أصبحت مختفية، وليس لها من الأثر إلا القليل، ثم يعود بذكرياته للماضي، فيسترجع ساعة فراقه منها، ولعل الشاعر يقصد بخولة، الخؤولة أي أخواله الذين تركوا الديار، وتخلوا عن الشاعر وعن أمه. نرى في البيت الثاني حضور نفس امرئ القيس، فالشاعر يطابق بيته أحد أبيات معلقة امرئ القيس تطابقًا تامًا خلا الكلمة الأخيرة، فالشاعر يطابق خطى العرب في الوقوف على الأطلال، وطلب البكاء معه من رفيقيه المتخيلين.

ويصف الشاعر منظر رحلة أخواله، وهم يركبون السفينة، ويحملونها بأحمالهم، فهذه السفينة كبيرة وتدخل العواصف الظالمة ولا تهابها، ومقدمتها صلبة مدببة مثل حد السيف،

وَإِنّي لَأَمضي الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ بِعَوجاءَ مِرقالٍ تَروحُ وَتَغتَدي

أَمونٍ كَأَلواحِ الأَرانِ نَصَأتُها عَلى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهرُ بُرجُدِ

على مِثلِها أَمضي إِذا قالَ صاحِبي أَلا لَيتَني أَفديكَ مِنها وَأَفتَدي

إنّ المتأمل في هذه الابيات يجد أنّ الشاعر يغرق في وصف الناقة، ويطيل فيها ليجعلها أطول لوحات معلقته، حتى أنّ لوحة الناقة عنده هي أطول لوحة عند شعراء العرب كلهم، فالشاعر يعاني من همٍّ كبير، ولا سبيل لإزالة هذا الهم إلا بالغزو على ظهر هذه الناقة ذات الصفات الخارقة.